سينما

أسبوع آرتي سينما العالم مشغولة بالهوية والحب

ثمانية أفلام أنجزها مخرجون من الأرجنتين وفرنسا وكوبا واليابان وغيرها نشاهدها في بيروت ضمن «أسبوع آرتي» الذي تنظمه «جمعية متروبوليس» للسنة السادسة على التوالي

بانة بيضون

«سان لوران» (2014) للفرنسي برتران بونيللو عن مصمم الأزياء الشهير إيف سان لوران هو الفيلم الذي افتتح به أمس «أسبوع آرتي» الذي تنظمه «جمعية متروبوليس» بدعم من «المعهد الفرنسي في لبنان» للسنة السادسة على التوالي. يخرج بونيللو في هذا الشريط عن قواعد السرد التقليدية للسيرة الذاتية. يقفز من الحاضر إلى الماضي وعكسه ضمن لغة سينمائية تبحث في هذا التمايز أو التناقض بين الداخل والخارج، وبين الذكورة والأنوثة الذي يقع في صلب رؤية سان لوران الفنية، لكن أيضاً في تكوين شخصه. كروائي محترف، يعيد المخرج تخيل سان لوران (غاسبار أوليال) ويغوص في التفاصيل الحميمة لحياته الجنسية كمثلي وعلاقته مع المرأة التي يراها كأناه الآخر المتخيل. هذا ما نراه في أحد مشاهد البداية حين يلتقي بملهمته بيتي كاترو (الممثلة والعارضة آيملين فآلاد) التي عملت معه كعارضة أزياء. يفتتن بها ويتخيل نفسه هي. عبر ذلك، يصوّر المخرج جانباً من الرؤية الفريدة التي ميزت سان لوران في تصوره غير النمطي لمفهوم الأنوثة عبر اعتماده للبذلات أو السراويل التي هي عادة ذكورية في الأزياء التي صممها للمرأة، مؤسساً لجمالية خاصة، تلعب على التناقض بين الذكورة والأنوثة، وعلى هذه الجاذبية الخاصة التي تلد من هذا التناقض (كجندر ثالث). أيضاً، يلعب على التناقض بين الظاهر والباطن عبر أسلوب يبرز جمالية الصورة لكن جمادها وفراغها من الحياة في الوقت عينه، كمشاهد سان لوران ورفاقه، الثابتين في أماكنهم كتماثيل جميلة من أثر المخدر، أو حتى هدوء سان لوران المقلق الذي يجسّده غاسبار أوليال ببراعة. من خلال تفككه الزمني بين الحاضر والماضي ومن خلال الكاميرا التي هي أيضاً في حالة بحث مستمر كسان لوران الذي يراقب إلى أن يجد الجمالية التي تفتنه سواء كانت في رجل أو امرأة، الفيلم هو في حالة بناء مستمر، في حالة نفي وتأكيد معاً لكل ما يتعلق بسان لوران سواء تكريس صورته كمبدع حقيقي أو الجانب الأكثر تجارية من عمله كما يقول هو نفسه في النهاية بأن هناك عرض أزياء واحداً قدمه كفنان فعلي أقرب إلى الرسام كما كان يرغب دوماً بأن يكون أو حتى تعاطفه المزعوم مع المرأة من عدمه كما نرى حين يطرد موظفة بعد أن تخبره بحملها. هذا بخلاف حس السخرية المبتكر الذي يقود به المخرج كل الفيلم، معبّراً عن هذه التناقضات كما يصوّر لنا علاقته مع كلبه الذي كلما مات، أحضر واحداً طبق الأصل عنه وأطلق عليه الاسم نفسه. ما يعبّر عن هوس سان لوران بالشكل الذي وحده هو الحقيقي الملموس بالنسبة إليه كما يشرح لعشيقه جاك (الممثل لوي غاريل) في رسالة: «أترى جاك؟ أحب الأجساد التي بلا روح، لأن الروح هي في مكان آخر». كذلك، يعرض ضمن الأسبوع عدد من الأفلام التي أسهمت قناة ARTE في إنتاجها كـ «ميلازا» (2012 ـ 10/14) لكارلوس ليشوغا. يتناول الأخير قصة عائلة في مدينة صغيرة في كوبا يعتاش سكانها من العمل في مصانع السكر. لكن بعد قرار إقفالها، يناضل الزوجان مونيكا وألدو ليجدا طريقة لتأمين لقمة العيش من غير أن يضطرا للتنازل عن حبهما. يصوّر المخرج حالة الركود الاقتصادي والنفسي التي تعيشها المدينة وصراع الزوجين للخروج من هذا الثبات القاتل في مشاهد لها لغتها المشغولة بعناية تجسد التناقض بين الجامد والمتحرك كما مونيكا التي ـ بضجيج خطواتها مع حذائها ذي الكعب العالي ـ تروح وتجيء كأنما تحاول تحطيم إيقاع الصمت المهيمن والمساحات الفارغة من الحياة التي يصوّرها لنا المخرج. ينتقد الفيلم بطريقة ساخرة وذكية النظام الاشتراكي الكوبي كما عندما يصدح مكبّر الصوت مشيداً بكل إنجازات النظام العظيمة في تأمين الفرص وتحسين التعليم والاقتصاد.

> «جوجا» عن توسع الاستعمار الأوروبي في القرن 19 في الأرجنتين

أما «اختطاف ميشال ويلبيك» (2013 ـ 10/13) لغيوم نيكلو، فيصور حياة الكاتب الفرنسي ميشال ويلبيك الذي يمثل نفسه في الفيلم. أثارت رواية ويلبيك «منصة» (2001) الكثير من الجدل بسبب سخريته من الإسلام، ما قاده للمثول أمام المحكمة بتهمة الحض على الكراهية العنصرية والدينية. ويلبيك الذي يمثل نفسه في الفيلم يعيش في عالمه المنظم بعناية. تأتي عملية اختطافه لتحطم إيقاع عالمه وتدخل إليه الفوضى ضمن إطار عبثي وساخر تجسده نظرة المخرج. من جهة أخرى، يروي «عصابة البنات» (2014 ـ 10/15) للفرنسية سلين سياما الذي عرض في «مهرجان كان» قصة المراهقة مريم التي تعيش تحت عبء المحظورات التي تفرضها بيئتها. أما «كزانيا» (2014 ـ 10/16) لليوناني بانوس أش كوتراس، فيروي قصة «داني» المثلي الذي يسافر بعد موت أمه الألبانية ليلتقي بأخيه في أثينا ضمن إطار سوريالي ساخر وقاس معاً. من الأرجنتين أيضاً، نشاهد «جوجا» (2014 ـ 10/17) لليساندرو ألونسو الذي يروي توسع حركة الاستعمار الأوروبي في القرن 19 للقضاء على السكان الأصليين في منطقة باتاغونيا. لغة بصرية ساحرة تبحث في مفهوم الانتماء. كما يعرض «الحب هو الجريمة المثالية» (2013 ـ 10/18) لأرنو وجان ماري لاريو عن بروفيسور في الجامعة يعثر على عشيقته التي هي إحدى تلميذاته ميتة في الصباح التالي.

«أسبوع آرتي السادس»: حتى 19 ت1 (أكتوبر) ـ «متروبوليس أمبير صوفيل» (الأشرفية). للاستعلام: 01/204080

الافتتاح كان مع «سان لوران» للفرنسي برتران بونيللو

ختامها ياباني

يختتم «أسبوع آرتي» بـ ساكنة هي المياه « (2014 ـ 10/19) لنعومي كاواسي الذي كان من بين الأفلام المتنافسة على السعفة الذهبية في «مهرجان كان». عبر سردها الروائي ولغتها البصرية، تبحث المخرجة اليابانية في التماهي بين الداخل والطبيعة عبر قصة حب بين مراهقين يصارع كل منهما ألمه على طريقته.

كتاب بين ثقافتين

عبد الله الطايع «عار جماعي» اسمه رهاب المثلية

ريتا باسيل

الكتابة والوجود والحب. ليست هذه سوى الحقوق الأساسية والبسيطة التي يطالب بها عبد الله الطايع (الأخبار 2012/6/12) الذي يعدّ الكاتب المغربي الأول الذي يجاهر بمثليته ويناضل ضد رهاب المثلية والعنف الممارس، ليس فقط على المثليين، بل ضد كل أشكال العنف الذي يتعرض له المجتمع المغربي وينتجه أيضاً. في سيرته الذاتية المتخيلة «جيش الخلاص» (2013) الذي عرض أخيراً في «المعهد الفرنسي في لبنان» ضمن فعاليات «كتّاب بين ثقافتين» (الأخبار 2014/10/2)، يروي الطايع قصة عبد الله المراهق الذي يقيم مع عائلته الكبيرة والمتواضعة في حي شعبي في الدار البيضاء.

تتكون شخصيته الحساسة والهشة في ظل صورتين أبويتين: إحداهما عنيفة وذكورية تعود للأب، وأخرى هادئة ومغرية تعود إلى الأخ الأكبر الذي يكن له شغفاً حقيقياً يدفعه الى دخول غرفته خلسةً، ليتنشق اثره على أغطية السرير. ورغم أنّ الفيلم أثار جدلاً كبيراً في المغرب بسبب تطرقه العلني إلى موضوع المثلية الجنسية، إلا أنّه لم يتم التركيز على ما تضمّنه من مشاهد عنيفة، من بينها مشهد يظهر الوالد وهو يغتصب الوالدة. كل ذلك يحدث خلف باب كان يطرقه الأولاد العاجزون عن نجدة والدتهم.

ما يرفضه عبد الله الطايع ليس فقط الاختناق الذي يشعر به المثليون في مجتمع يمنعهم من الحب، بل إنّه يتمرد أيضاً على صورة الرجولة المشوهة التي تبرز من خلال العنف وتضاف الى ذاك الذي يمارسه المجتمع والعائلة على الفرد.

يسكن هذا العنف في كل الشخصيات المتناقضة. إنّها ضحية وجلاد في آن. تستنسخ الوالدة العنف الممارس ضدها من الأب على ابنها عبد الله، وتذله بكلام جارح، وتقصيه جسدياً عن المحيط العائلي الذي تتشاركه حصرياً مع بناتها. بدوره، يعنف عبد الله عشيقه السويسري مسبباً له الألم من دون سبب.

تفضح علاقة عبد الله بعشيقه السويسري التوتر الحاصل بين الغرب والعرب، بين الأغنياء والفقراء، وبين المغاربة أنفسهم، بين من نجح في تخطي البؤس، ومن بقي مكبلاً بواقعه الاجتماعي.

يملك عبد الله الطايع جرأة كشف التناقضات أو بالأحرى «التعتيم» الذي يسود المجتمع المغربي من خلال الصمت الذي يشكل عاملاً رئيساً في الفيلم. بصمت، يعرض عبد الله نفسه للرجال، وجسده للرغبة حتى آخر مشهد حين يضعف أمام مشاركة لحظات رقيقة وصادقة للمرة الأولى مع رجل.

من خلال هذا الفيلم المستوحى من روايته «جيش الخلاص»، عبّر عبد الله الطايع عن ذاته، طارقاً واحدة من محرمات المجتمع المغربي الثلاث (المثلية الجنسية، وشخص الملك والصحراء الغربية). يندرج المغرب بلا حرج على لائحة الدول التي تعاني من رهاب المثلية كلبنان، أو إيران حيث يحكم بالإعدام على المثليين... واللائحة تطول.

يحرص الطايع التذكير خلال مقابلاته في الغرب على تأكيد أنّ رهاب المثلية «عار جماعي» أبعد من أن يُختصر بدين معين (وهذا ما نشهده من رهاب المثلية في المناطق اللبنانية المسيحية المحافظة مثلاً).

في النهاية، من المهم التذكير بأنّ تصوير المثلية الجنسية على أنّها «شر» يصّدره الغرب «الامبريالي» هي فكرة خاطئة كما يؤكد عدد من المؤرخين. رهاب المثلية هو ما يعد «امبريالياً» واستعمارياً، فالقوانين التي تجرم المثلية في العالم العربي تم استيرادها فقط من خلال المستعمرات البريطانية ونحن ما زلنا بقايا هذا الإرث.